العتبة العلوية المقدسة
IMAM ALI HOLY SHRINE

السنة الثامنة عشرة العدد 183
ربيع الثاني 1446هـ - 2024م

الولاية

مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - وحدة مجلة الولاية

ملامح من تفسير القرآن في نهج البلاغة

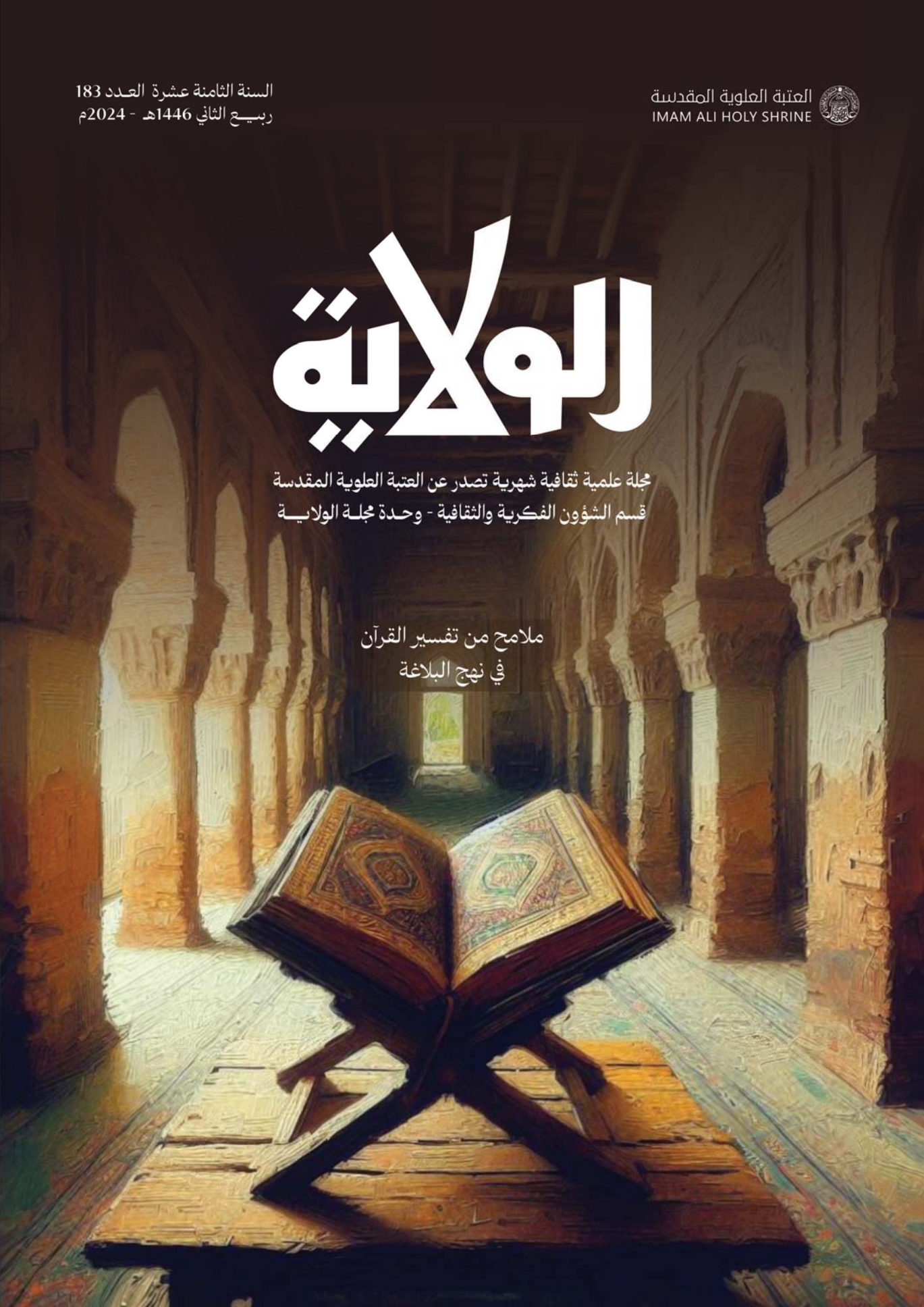

السلام علیک یا روح الله و خیر خلقه و ابن خلقه
السلام علیک یا امام الحسن

السلام عليك ايتها الصديقة الشهيدة

المشرف العـــام	السيـد عيسى الخرسان
رئيس التحريـــر	د. محسن عبد العظيم الخاقاني
مدير التحريـــر	د. حســين فاضل الحكيـم
سكرتير التحريـــر	هشــام أمـوري السمـــاك
المحـــــــررون	هاشم محـمد البـــاججي
	حيـــدر رزاق الكعـبي
	عبد الحسن هادي الشافعي
	حمود حســين الصـــراف
	رياض مجيد الخزرجـــي
التصحيح اللغـــوي	د. صـادق علـي الزبيـدي
السلامة الفكـــرية	نبـأ محســن الحمـــامي
	سمير سليـــم الحمـــزه
	مهند طـــاهر الخاقـــاني
تصمـــيم الغلاف	حســين عـــلاء التميـمي
التصميم والاخـراج	صبـــاح حســن الدجيلي
	احمـد مكـــي القرشـــي
الاعمدة والبوسترات	ضيـاء نسيـم حرز الدين

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1121) للعـــام 2008م

رقـــم الاعتمـــاد فـــي نقابـة الصحفييـــن العراقـــيين (744)

alwelayh.com - info@alwelayh.com - 07700553150

وحلّقَ نسرُ الله ..

السيد عيسى الخرسان
الأمين العام

كان يطلُّ على أكمةِ الشهامة والشمم، بوجههِ النبويِّ وصوتِهِ العلويّ، يشخصُ إلى حافة الدنيا السحيقة، ويهتف بالذين استطابوا الذُّل واستمرأوا الهزيمة، ليوقظهم من رقدتهم، ويبثَّ فيهم ما يفيض به عنصرهُ الحسينّي من شجاعةٍ وتوثّبٍ وإباءٍ للضيم.

كان نسرًا من نسور الله الشوامخ، إذا انقضَّ على فريستهِ سابق الريحَ بهمّته، وإذا خفَّ بجناحيه اكتحلت به عينُ السماء، ضعيفٌ في نفسهِ شديدٌ على أعدائه، تنهمر دموعه على كريمتهِ إذا أنَّ طفلٌ في مهده، وتنبعث من حدقاته أشباح الموت إذا استعرت حميته.

كان حسنًا في كلِّ معانيه ووصوفه، في بهاء وجههِ وإشراقةِ محيّاه، وفي طهر قلبه وعفّة نفسه، صمتهُ حِلمٌ وكلامهُ حُكم، هو كلمةُ الفعل، وهو فعلُ الكلمة، وكان حسنيًا إذا قال، حسينيًا إذا صال، ولعمري كان بحقّ، متحدثُ الأمةِ وفارسُها.

كان قادمًا إلى الدنيا من الآخرة، ولم يكن ذاهبًا للآخرةِ من الدنيا، وما زال يذكّرنا بأنَّ هذهِ الدنيا ضئيلة ومشوّهة، ما لم يكن إدامها رضا الله، وماؤها الجهاد في سبيله.

وليت شعري ما أوهن الدنيا في عينك يا نسر الله! هي أبعد دارٍ عن مرضاة الله، وأقربها من سخطه، ولقد قال أحد أعاظمنا ذات مرةٍ وفي لحظة تجلٍّ هائلة ..

الدنيا .. ما هي الدنيا؟ مجموعة من الأوهام .. لكنَّ دنيانا أكثر وهمًا من الآخرين.

ويالهُ من مجدٍ مُنيف .. فلقد حلّق نسر الله عن هذه الدنيا الدنيّة بعد أن طيّبها بأنفاسه ونوّرها بوجهه .. وارتأى التحليق إلى الأعلى الممتد، والسمو المؤبد.

ورحم الله الشاعر إذ قال في رثاء شهيدنا المجاهد:

لكنَّ نسرُ الله قد بلغ العُلى ... في خيرِ مثوىً في الجنانِ ومقعدِ
ربّاهُ .. لو يُفدى الذي استفديتهُ ... بالحيِّ من قومي وبالمُستشهَدِ
عتبى لك اللهمَّ باستشهادهِ ... فرجًا تعجّلهُ لآلِ محمّدِ

٨ قـــــــاف

١٦ الكلـــم الطيـــب

٢٢ حتـــى يتفقهـــوا

٢٦ مـــع الحـــــق

٣٠ بلســـانٍ علوي مُبيـن

٤٢ الصراط المستقيم

٥٤ لســـان الامـــة

٦٦ قـــــرة الأعيـــن

٨٦ بيبليوغرافيا العلوم

٩٤ ذاكـــرة الأمـــم

١٠٢
تراث الخزانة العلوية

١٠٦
لاذوا بالجـــوار

١١٢
يـراع العلمـــاء

١١٧
من اروقـــة الحرم

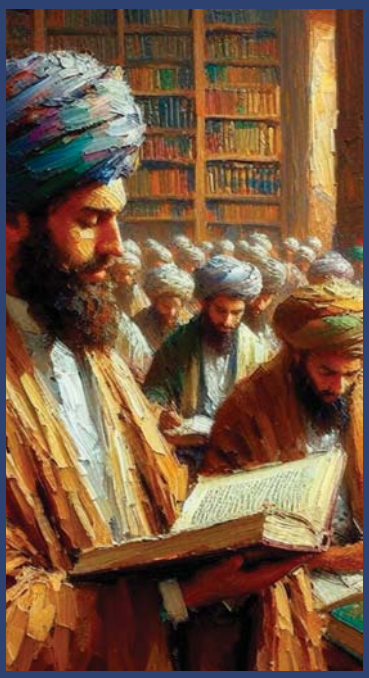

الفاضل المحقق والمدقق الجامع والمبتكر صاحب التصنيفات القيمة.. أحد أعلام القرن الثالث عشر الهجري الملقب بالفاضل النراقي أحد أبرز علماء الاسلام ومشاهير الفقهاء.. لما عرف من موسوعيته المعرفية لقد كان رحمه الله تعالى جامعا لعلوم وفنون متعددة لاسيما الفقه والاصول والرياضيات.. فضلا عن أنه أديبا وشاعرا فارسيا نحريرا.. ملما بالحكمة والكلام والأخلاق والاداب..

قـــــاف

أثـــر اختـــلاف الإعـراب فـــي تفسير القرآن الكريم

أ.م.د. صالـــح الخزرجـــي
جامعة وارث - كلية العلوم الاسلامية

أثـــــر اختـــلاف الإعراب في تفسير القـــرآن الكريـــم

أ.م.د. صالـــــح الخزرجـــــــي
جامعة وارث - كلية العلوم الاسلامية

الحمد لله الذي جعل اللسان العربي أداة كتابه العزيز، وجعله حافلًا بالنفع والقول الوجيز، وصلاة الله وسلامه على الرسول النبي الأكرم وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

فإنّ أحق ما يشتغل به الباحثون، وأفضل ما يتسابق فيه المتسابقون، هو دراسة كتاب الله تعالى ومواصلة البحث فيه والتعمق في كشف علومه وحقائقه، ولما كانت نصوص القرآن الكريم محدودة في عددها، فإنّ أبنيتها ولغتها احتملت المعاني الكثيرة، وكان علم النحو أحد أسباب هذا الاتساع الدلالي، من هنا جاءت هذه المقالة لتُبين أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم في مسألتين اختيارًا.

إنّ الاختلاف في الإعراب له أثره في تعدّد معاني التفسير، فتعدّد الوجوه الإعرابية يقوم مقام تعدّد الآيات وهذا ضربٌ من الصور البلاغية، وكان لعلماء النحو اختلاف في إعراب آيات كثيرة، ونتج عن ذلك اختلاف في القواعد الفقهية، ولبيان أثر اختلاف الإعراب في التفسير وأثره في الترجيح بين الأقوال الواردة في تفسير الآيات القرآنية ستتناول دراسة تطبيقية لعدد من المسائل الواردة في تفسير كتاب (الهداية إلى بلوغ النهاية) مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) بوصفه مثلًا من الترجيحات الإعرابية في تفسيره.

من المعلوم أنّ الإعراب فرع المعنى ومبين للمعاني ومميّز لها، فالوجوه الإعرابية الأكثر صحّة ما كان موافقًا لمعنى الآية، وعليه وجب حمل الآيات القرآنية على الأوجُه الإعرابية اللائقة بالسياق والموافقة لأدلّة الشرع كما يجب حمل كتاب الله تعالى على الأوجُه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذّة والغريبة[1].

المسألة الأولى:

معنى (الكلالة) في قوله – تعالى –: ﴿**وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ...**﴾ [النساء: ١٢].

ذكر مكي تفسيرات متعدّدة للفظة (كلالة) واستبعد تفسيرات أخرى، حيث يرى نصب (كلالة) على أنّه خبر كان عند الأخفش، وإنْ شئت على الحال بجعل كان بمعنى وقع {ويورث} صفة رجل، وهذا على أنّ الكلالة هو الميت، وهو قول البصريين؛ لأنّهم يقولون: الكلالة هو الميت الذي لا ولد له ولا والد... قال البصريون: هو كما تقول: رجل عقيم، إذا لم يولد له، مشتق من الإكليل كأنّ الورثة غير الولد، والوالد أحاطوا به فحازوا المال، وقرأ الحسن وأبو رجاء (يورِث كلالة) بكسر الراء فجعل الكلالة مفعولًا به، بينما قرأ بعض الكوفيين (يورّث كلالة) بكسر الراء وتشديدها بنصب كلالة على أنّها مفعولًا بها، والكلالة في هاتين الروايتين: الورثة أو المال، وقال أبو عبيدة: (كلالة) أصلها مصدر من كلالة النسب إذا أحاط به، والأب والإبن طرفان للرجل فإذا مات ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه، فسمي ذهاب الطرفين كلالة، كأنّها مصيبة في ثكل النسب، وقد قيل: الكلالة الورثة لا ولد فيهم ولا أب، وهو قول أهل المدينة وأهل الكوفة وشاهد هذا القول بقراءة الحسن، وأبي رجاء برفع (كلالة) بمعنى (يورث منه كلالة) وقال عطاء، (الكلالة) المال الذي لا يرثه ولد ولا والد، فيكون نصبها على أنّها صفة لمصدر محذوف، والتقدير: يورث وارثه كلالة، والكلالة مشتقة من الإكليل

المنعطف على جبين الملك، ومن الروضة المكلّلة وهي التي قد حفّ بها النور وشبه ذلك بالقمر إذ أحاط بالإكليل وهو منزلة من منازل القمر ذات نجوم، يقال: يتكلّله النسب إذا أحاط به، وإنّما سُمي الميت الذي لا ولد له، ولا والد كلالة؛ لأنّ كل واحد من الولد والوالد إذا انفرد يحيط به[٣].

أمّا الحَكَم بن عيينة فيرى أنّ المراد بـ (كلالة) الخلوص الوالد فقط[٤]، وهناك رأي آخر مفاده أن المراد بـ (كلالة): الميت الذي لا ولد له، وهو قول: أبي بكر وعمر، وابن عباس، والشعبي[٥]، وقول آخر مفاده: أن الكلالة هو كل من لم يرثه أب، أو ابن، أو أخ، وهو قول: قطرب، وأبي عبيدة[٦]، وقال ابن زيد أنّ المراد بالكلالة: الحي والميت الذي لا ولد له ولا والد، فالحي والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة، وهذا يورَث بالكلالة[٧].

ويبدو أنّ معنى الكلالة من الناحية الإعرابية هو الميت الذي ليس له ولد ولا والد أكثر صوابًا؛ لأنّها ستكون منصوبة على الحال من الضمير المستكن في يورث، ولا يحتاج إلى تقدير، أما تفسيرها بالوارث الذي لم يترك ولدًا ولا والدًا فهي تحتاج إلى تقدير مضاف؛ أي ذا كلالة؛ لأنّ الكلالة إذ ذاك ليست نفسها الضمير في يورث، ومعلوم أنّ القول بالإظهار مقدّم على القول بالإضمار، وإنَّ حمل الكلام على غير إضمار أولى من أن يُسلك به الإضمار والافتقار[٨].

المسألة الثانية:

إعراب (كتاب الله) في قوله تعالى: {والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم كتابَ الله عليكم}[النساء: الآية: ٢٤]، ذكر مكي ثلاثة أوجه في إعراب (كتاب الله)، هي: النصب على المصدرية أو الإغراء[٩]، أو الحال، وضعّف الوجه الثاني، حيث يرى نصب {كتاب الله} على المصدرية عند سيبويه؛ لأنّه لمّا قال: (حُرّمت عليكم) على أنّه كتب ذلك، فالمعنى كتب الله عليكم ذلك كتابًا، وقيل: نصبه على الإغراء، أي: الزموا كتاب الله... وهذا قول ضعيف مردود، وهو قول الكوفيين؛ لأن (عليكم) يقوم مقام الفعل في الإغراء، وهو لا ينصرف، ولا يجوز تقديم المفعول عليه عند أحد، لا يجوّز زيد ذلك، ونصْبه عند بعض الكوفيين على الحال، كأنّه قال: كتابَ الله عليكم[١٠]، وقال ابن عاشور: «وقوله: ﴿**كتابَ الله عليكم**﴾، هو تحريض على وجوب الوقوف عند كتاب الله، فـ(عليكم) ناب مناب (إلزموا) وهو بمعنى اسم الفعل، وذلك كثير في الظروف والمجرورات المنزّلة منزلة أسماء الأفعال بالقرينة، كقولهم: إليك،

ودونـك، وعليـك، و(كتـابَ الله) مفعولـه مقـدّم عليـه عنـد الكوفيـين»[11].

وهـذا القـول ضعّفـه مكـي وردّه مجموعـة مـن أهـل العلـم، منهـم الطـبري، والزجّـاج، والعكـبري فقـال الطـبري: «وقـد كان بعـض أهـل العربيـة يزعـم أنّ قولـه (كتـاب الله عليكـم) منصـوب عـلى وجـه الإغـراء، بمعنـى: عليكـم كتـابَ الله، إلزمـوا كتـاب الله، والـذي قـال مـن ذلـك غـير مسـتفيض في كلام العـرب، وذلـك أنّهـا لا تـكاد تنصـب بالحـرف الـذي تغـري بـه إذا أخّـرت الإغـراء، وقدّمـت المغـري بـه، لا تـكاد تقـول: (أخـاك عليـك، وأبـاك دونـك) وإن كان جائـزًا، والـذي هـو أولى بكتـاب الله أن يكـون محمـولًا عـلى المعـروف مِـن لسـان مَـن نـزل بلسـانه»[12].

وقـال الزجّـاج: «هـذا عندنـا لا يصـح؛ لأنّ معمـول عليـك لا يتقـدم عليـه»[13]، أمـا العكـبري فقـال: «قـال الكوفيـون: هـو إغـراء، والمفعـول مقـدّم، وهـذا غـير جائـز؛ لأنّ (عليكـم) وبابـه عامـل ضعيـف، فليـس لـه في التقديـم تـصرف»[14].

فهـذه المسـألة خلافيـة، اختلـف فيهـا البصريـون مـع الكوفيـين، فذهـب البصريـون إلى أنّـه لا يجـوز تقديـم معمـول ألفـاظ الإغـراء عليهـا؛ لأنّهـا فـروع عـلى الفعـل في العمـل فينبغـي أن لا تتـصرّف تصرفـه؛ لأنّ ذلـك يـؤدّي إلى التسـوية بـين الفـرع والأصـل، وذلـك لا يجـوز؛ لأنّ الفـروع أبـدًا تنحـطّ عـن درجـات الأصـول، في حـين ذهـب الكوفيـون إلى أنّ ذلـك جائـز، واحتجّـوا بهـذه الآيـة وأيضًـا بالقيـاس عـلى أنّهـا نائبـة عـن الفعـل، والفعـل يجـوز تقديـم معمولـه عليـه وكذلـك مـا نـاب عنـه[15].

وهنـاك قـولٌ ثالـث في إعـراب (كتـابَ الله) وهـو النصـب عـلى الحـال وهـو ما ذكـره مكـي[16] وقـول رابـع في إعـراب (كتـابَ الله) وهـو برفـع (كتـاب) عـلى أنّـه خـبر لمبتـدأ محـذوف تقديـره: هـذا كتـابُ الله عليكـم، وقـد أجـازه الزجّـاج، والنحـاس، والزمخـشري، والقرطبـي[17]، فيقـول الزجّـاج: «و يجـوز أن يكـون {كتـاب الله عليكـم} مرفوعًـا عـلى معنـى هـذا فـرض الله عليكـم» [18].

بعـد اسـتعراض أقـوال المفسريـن واللغويـين في إعـراب (كتـــــاب الله) في قولـه تعـالى: ﴿**والمحصّنـات مـن النسـاء إلاّ مـا ملكـت أيمانكـم كتـابَ الله عليكـم**﴾، يظهـر والله أعلـم أنّ القـول الراجـح هـو مـا ذهـب إليـه مكـي، ومـن وافقـه، ويشـهد لذلـك مـا يـأتي:

أولًا: مـا صرّح بـه عـدد مـن أئمـة التفسـير واللغـة مـن أقـوال تـدلّ عـلى تضعيـف مـا سـواه وردّه.

ثانيًا: يؤيد ذلك قراءة محمد بن السمقيع (كتابَ الله عليكم) بهذه الصورة: (كَتب الله عليكم)[19]، مفتوحة الكاف، وليس بعد التاء ألف، والباء مبنيّة على الفتح، قال ابن جنّي: «في هذه القراءة دليل على أنّ قوله: (عليكم) من قوله: (كتاب الله عليكم) اسمًا سمي به الفعل، كقولهم: عليك زيدًا، إذا أردت: خذ زيدًا، وذلك أنّ عليك ودونك وعندك إذا جُعلن أسماءً للفعل لسنَ منصوبات المواضع، ولاهنّ متعلقات بالفعل مُظهرًا ولا مضمرًا»[20].

ومعلوم أنّ الوجه التفسيري والإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى من الوجه المخالف له، ثم الأولى بكتاب الله تعالى أن يُحمل على المعروف عن لسان من نزل بلسانه، فحمل الآية ينبغي أن يكون على الأكثر والأفصح الذي لم يتعرض لتأويل أو اعتراض عليه، وهو القول الذي رجّحه مكي، ومن المعلوم أنّه يجب حمل كلام الله عزوجل على الأوجُه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة، والشاذّة والغريبة[21]، وأمّا القول بالنصب على الإغراء فقد ضعّفه كثير من العلماء وردّوه كما تقدم... والله أعلم بالصواب.

نلحظ أنه قد نتج عن اختلاف الآراء في إعراب آيات من القرآن الكريم اختلاف تنوّع في المعاني والدلالات، وهذا مما يثري المعاني التفسيرية ويفتح آفاقًا من ميادين التفسير، ومما لا خلاف فيه سعة اللغة العربية وعمقها وأهميتها في فهم القرآن الكريم وتفسيره وأنها لا غنى عنها في التفسير، ولكن لا يمكن الاعتماد على اللغة وحدها في فهم كلام الله تعالى.

---

١. ظ: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢/ ٦٣٣-٦٢٦.
٢. ظ: مكي، الهداية: ٢/ ١٢٤٥-١٢٤٧.
٣. ظ: الماوردي، النكت والعيون: ١/ ٤٦٠، وابن عطية، المحرر الوجيز: ٢/ ١٩، وآخرون.
٤. ظ: الطبري، جامع البيان: ٨/ ٥٩، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٧٧.
٥. ظ: أبو عبيدة، مجاز القرآن: ١/ ١١٨، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٥/ ٧٧.
٦. ظ: جامع البيان: ٨/ ٦٠، ومعاني القرآن للنحاس: ٢/ ٣٥.
٧. ظ: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢/ ٤٢١.
٨. ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٤/ ٧٩.
٩. ظ: مكي، الهداية: ٢/ ١٢٨١.
١٠. ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٥/ ٧.
١١. الطبري، جامع البيان: ٨/ ١٧٠.
١٢. النحاس، إعراب القرآن: ١/ ١٥٢.
١٣. الزجاج، إعراب القرآن: ١/ ٣٤٦.
١٤. ظ: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٢٢٨.
١٥. ظ: مكي، الهداية: ٢/ ١٢٨١.
١٦. ظ: إعراب القرآن: ١/ ٢٠٨، الكشاف: ١/ ٢٩٧، الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ١٢٤.
١٧. معاني القرآن: ٢/ ٣٧.
١٨. ظ: المحتسب: ١/ ١٨٥، ابن سيده، إعراب القرآن: ٣/ ٢٤٥.
١٩. المحتسب: ١/ ١٨٥.
٢٠. الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين: ١/ ١١٠.
٢١. ظ: مكي، الهداية: ٣/ ١٦١٣-١٦١٨.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَّيْسَ ٱلْبِرَّ :

أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ← ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ

وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ : ءَامَنَ

بِٱللَّهِ ← وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ← وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ← وَٱلْكِتَٰبِ ← وَٱلنَّبِيِّۦنَ

وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ

ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ← وَٱلْيَتَٰمَىٰ ← وَٱلْمَسَٰكِينَ ← وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ← وَٱلسَّآئِلِينَ ← وَفِى ٱلرِّقَابِ

← وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ

← وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

← وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟

← وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى

ٱلْبَأْسَآءِ ← وَٱلضَّرَّآءِ ← وَحِينَ ٱلْبَأْسِ

أُو۟لَٰٓئِكَ ← ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟

وَأُو۟لَٰٓئِكَ ← هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ

الكلم الطيب

السيرة النبوية بين التاريخ والعقيدة
مسألة رضاع النبي ﷺ وقفة وتأمل!

د. عماد الكاظمي
العتبة الكاظمية المقدسة

السيرة النبوية بين التاريخ والعقيدة

مسألة رضاع النبي (صلى الله عليه وآله) وقفة وتأمل!

د. عماد الكاظمي
العتبة الكاظمية المقدسة

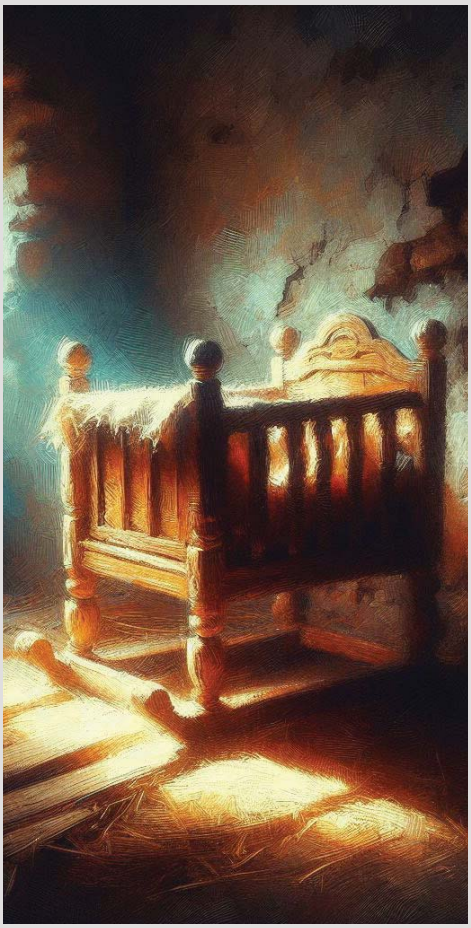

إنَّ موضوع رضاع النبي (صلى الله عليه وآله) عند مرضعته "حليمة السعدية" من الموضوعات المشهورة تاريخيًّا في كتب السيرة، وممّا يجدر البحث فيه لهذا الأمر هو: هل أنَّ مرضعته كانت على الحنيفية التوحيدية؟ أو كانت على غير ذلك، يعني كافرة أو مشركة؟ فعلى الأوّل: فإنّنا نحتاج إلى نصٍّ تاريخي يبيّن ذلك، وعلى الثاني: فهل يُعقل أنْ خاتم الأنبياء والمرسلين يبدأ طعامه بشراب لبن كافرة؟ وينبت لحمه على ذلك؟! وتعاليم الشريعة المقدسة قد اعتنت كثيرًا بالرضاع وما يتعلّق به، وهذا واضح من خلال الروايات الشريفة، والأحكام الشرعية المتعلقة بها، وهذا ما أبينه فيما يأتي:

الأحاديث الواردة في الرضاعة وآدابها:

لقد وردت أحاديث متعدّدة في ذلك ضمن أحاديث النبي والأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين) أذكر من ذلك حديثين للإيجاز:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((ٱنْظُرُوْا مَنْ يُرْضِعُ أَوْلَادَكُمْ فَإِنَّ الْوُلْدَ يَشُبُّ عَلَيْهِ))[1].

وقال عليه السلام: ((تَخَيَّرُوْا لِلرِّضَاعِ كَمَا تَخَيَّرُوْنَ لِلنِّكَاحِ، فَإِنَّ الرِّضَاعَ يُغَيِّرُ الطِّبَاعَ))[2].

فهذا الحديثان وغيرهما من الأحاديث تبيّن الصفات التي حثّت الشريعة على توافرها في المرضعة؛ لأهمية هذه المرحلة للإنسان.

الأحكام الشرعية في الرضاع

ذكر الفقهاء في مؤلفاتهم الفقهية الأحكام المتعلّقة بالرضاع من حيث الأحكام التكليفية: الوجوب، والحرمة، والاستحباب، والكراهة، والإباحة، ونذكر من ذلك بعض تلك الأحكام الواردة، ومنها:

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُخْتَارَ لِلرَّضَاعِ: الْعَاقِلَةَ، الْمُسْلِمَةَ، الْعَفِيفَةَ، الْوَضِيئَةَ وَلَا تُسْتَرْضَعُ الْكَافِرَةُ، وَمَعَ الاضْطِرَارِ تُسْتَرْضَعُ الذِّمِّيَّةُ، وَيَمْنَعُهَا مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، وَأَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ[3].

وفي هذا الحكم بيان جلي في الحثّ على هذه الصفات المتقدمة التي ينبغي توافرها في المُرضع، والتأمل فيها يؤكّد أهمية الرضاع في التشريع الإسلامي.

وَيُكْرَهُ أَنْ يُسَلَّمَ إِلَيْهَا [الكافرة] الْوَلَدُ لِتَحْمِلَهُ إِلَى مَنْزِلِهَا. وَتَتَأَكَّدُ الْكَرَاهِيَةُ فِي ارْتِضَاعِ الْمَجُوسِيَّةِ، وَيُكْرَهُ أَنْ يُسْتَرْضَعَ مِنْ وِلَادَتِهَا عَنْ زِنًا وَرُوِيَ أَنَّهُ إِنْ أَحَلَّهَا [مَوْلَاهَا] فِعْلَهَا، طَابَ لَبَنُهَا وَزَالَتْ الْكَرَاهِيَةُ وَهُوَ شَاذٌّ[4].

والكراهة الواردة تؤكّد أهمية الاعتناء في اختيار المُرضع، بل معاهدته ومتابعته مع وجود المُرضع له؛ لما في ذلك من أثر على تربية الإنسان.

وقد ذكر «ابن هشام» في سيرته عنوانات متعدّدة حول رضاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما جرى عليه في بني سعد، أذكر من ذلك عنوانًا واحدًا مثالًا على ذلك، ليتم مناقشته.

إعلام جده بولادته وما فعله به..

((قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ صلى الله عليه وآله وسلم أَرْسَلَتْ إِلَى جَدِّه عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: أَنَّهُ قَدْ وُلِدَ لَكَ غُلَامٌ، فَأْتِهِ فانظرْ إِلَيْهِ، فَأَتَاهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، وحَدَّثَتْه بِمَا رَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ، وَمَا قِيلَ لَهَا فيه، وما أمرت به أن تسمِّيَه.

فَيَزْعُمُونَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَخَذَهُ، فَدَخَلَ بِهِ الْكَعْبَةَ فَقَامَ يَدْعُو اللهَ، وَيَشْكُرُ لَهُ مَا أعطاه، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا، والتُمس لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الرُّضَعَاءُ.

قَالَ ٱبْنُ هِشَامٍ: الْمَرَاضِعُ. وَفِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى عليه السلام: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [سورة القصص: ١٢].

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: فَاسْتَرْضَعَ لَهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ. يُقَالُ لَهَا: حَلِيمَةُ ٱبنة أبي ذُؤَيْب))[٥].

فمن خلال الجمع بين العقيدة والتشريع من جانب، والسيرة من جانب آخر، أقول ما يأتي:

- الامر الأول، إذا كانت الشريعة المقدسة قد ذكرت تلك الآداب الخاصة بالمرضعة، وما يجب أنْ تتوافر فيها من خصال، وحثت بشدة على ذلك، وإذا كان الله تعالى حرَّم المراضع على نبيه موسى عليه السلام، لأجل إرجاعه إلى أمه.

فالتعامل مع تلك المرويات إما أنْ يكون:

١- هذا الأمر لم يحدث. أي لا يوجد واقعًا موضوع رضاعته من قبل المرأة المعروفة تاريخيًّا بـ(حليمة السعدية)، وهذا يؤدّي إلى التأمّل كثيرًا في الروايات الواردة في رضاعتها له.

٢- إنَّه قد حدث الرضاع والنبي تمت رضاعته من كافرة أو مشركة. فهل يمكن للمسلم أنْ يقول بذلك، إذ يكون الطعام الأول الذي يدخل جوف رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين، المُشَرِّع ﷺ من امرأة كافرة؟!!

٣- إنَّ مرضعته (حليمة) كانت على دين الحنيفية كما كان بعض الناس على ذلك، فهذا يحتاج إلى بحث ودليل لإثبات حنيفيتها.

وفي مناقشة ذلك أرى:

إنَّ الأمر الثاني، لا يمكن قبوله مطلقًا؛ حيث مخالفته للعقيدة والتشريع، كما تقدّم من بيان في أحكام الرضاع وأهميتها بصورة عامة، فكيف لو كان المُرْضَع هو المُشَرِّعُ، خاتم الأنبياء والمرسلين!!

وإنَّ الأمر الثالث يحتاج إلى دليل، ولا يوجد دليل على حنيفيتها على وفق التتبع الأوَّلي للموضوع، وقد قال «ٱبن هشام» في سيرتها عند ذكر زوجها: ((وَٱسْمُ أَبِيْهِ الَّذِيْ أَرْضَعَهُ ﷺ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَ....))[٦]، ثم قال الأستاذ المعلّق على الكتاب في بيان ما ورد في زوجها: ((لَمْ يُذْكَرْ لَهُ إِسْلَامًا، وَلَا ذَكَرَهُ

كَثِـيْرٌ مِمَّـنْ أَلَّـفَ فِيْ الصَّحَابَـةِ، وَفِيْ رِوَايَـةٍ أَنَّـهُ أَسْـلَمَ بَعْـدَ بِعْثَـةِ النَّبِـيِّ))[٧].

ممّـا تقـدم يوضِـح بـأنَّ صاحـب اللبـن (زوج حليمـة) لم يكـن عـلى الحنيفيـة، فضـلًا عـن قولـه في روايـة أنَّـه أسـلم بعـد البعثـة، فكـم كان عمـره عندمـا أسـلم؟

- والأمـر الأول أنَّ موضـوع رضاعـه مـن حليمـة السـعدية لم يتـم، وهـذه روايـات تحتـاج إلى مراجعـة دقيقـة مـن الأعـلام المحقّقـين؛ لأنَّ المسـألة مهمـة جـدًّا، فهـو أرجـح الأقـوال مـن خـلال مناقشـة روايـة الرضـاع، وإلا فـإنَّ مـا تـمّ عرضـه لا يمكـن الركـون إليـه والوثـوق بـه.
- الأمـر الأول، إذا كانـت الشريعـة المقدسـة قـد ذكـرت تلـك الآداب الخاصـة بالمرضعـة، ومـا يجـب أنْ تتوافـر فيهـا مـن خصـال، وحثـت بشـدة عـلى ذلـك، وإذا كان الله تعـالى حـرَّم المراضـع عـلى نبيـه موسـى عليه السلام، لأجـل إرجاعـه إلى أمّـه.

١- الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١/ ٤٦٧.
٢- المصدر نفسه، الحديث: ٦.
٣- الشيخ جعفر بن الحسن المحقق الحلي، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: ٢/ ٥٧٠.
٤- المصدر نفسه.
٥- السيرة النبوية: ١/ ١٨٤-١٨٦.
٦- السيرة النبوية: ١/ ١٨٦.
٧- المصدر نفسه.

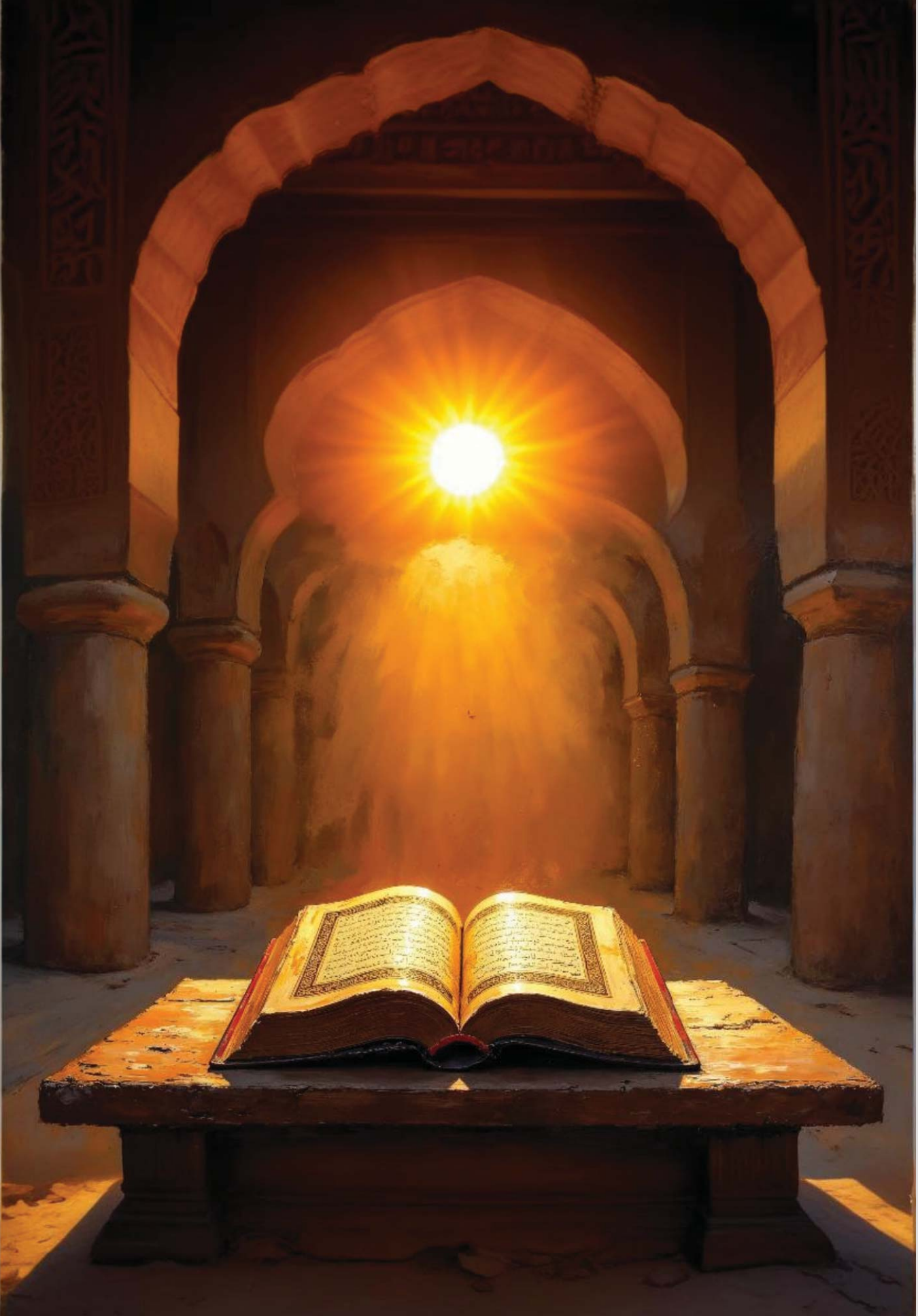

حتى يتفقهوا

العقل وموقعه من التشريع

أ.م. د فارس فضيل الخطيب
جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية